

المهدوية وأثرها في صياغة الكتابة التاريخية في المغرب الإسلامي - دراسة تاريخية أنثروبولوجية -

*Al Mahdaouia And Its Consequences In Contextualizing The Historical Writings
A Historical Anthropological Study*

علي دبلاوي

جامعة غرداية، الجزائر

Aodeblaoui92@gmail.com

تاريخ النشر: 2026/03/31

تاريخ القبول: 2026/03/29

تاريخ الإرسال: 2025/04/24

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز أثر الأيديولوجية الدينية على التدوين التاريخي، واختارت الدراسة فكرة المهدوية في المغرب الإسلامي لتبين أثرها في صياغة الكتابة التاريخية، مركزة على التجربتين الإسماعيلية والموحدية من خلال مصدرين هامين هما افتتاح الدعوة للقاضي النعمان وأخبار المهدي بن تومرت للبيدق، تنطرق الدراسة إلى المهدوية في المعتقد الإسلامي، ثم تعرف بالمهدوية الإسماعيلية والتومرتية، وتبرز مظاهر وتحليلات التأثير بفكر المهدوية من خلال نصي افتتاح الدعوة وأخبار المهدي بن تومرت، وهي دراسة وصفية تاريخية تستعين بالتحليل الأنثروبولوجي لفهم أثر فكرة المهدوية وتحليلاتها في الكتابة التاريخية.

الكلمات المفتاحية:

المهدوية، الكتابة التاريخية، الإسماعيلية، الموحدية، المغرب الإسلامي.

Abstract:

This study aims at manifesting the effect of the religious ideology on the historical writings , it chose the idea of Al Mehdaouia in the Islamic Maghreb to show its consequences in contextualising the historical writings focusing on the two experiments ; Al Ismailia and Al Mouahidia through two important resources which are Iftitah daaoui for the judge Naoman and Akhbar Lmahdi Ben Toumart for Baithek , and that is through a descriptive historical study using Anthropological analysis to figure out the effect of this phenomenon and its manifests in the historical writings.

Key words:

Al Mahdaoui, historical writing , Al Ismailia , Al Mouahidia , Islamic Maghreb.

1. مقدمة:

تعد ظاهرة ادعاء المهدوية من أهم الظواهر التي ارتبطت بتاريخ بلاد المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، إذ تبنت العديد من الحركات والشخصيات فكرة المهدوية، واعتبرتها أساساً لدعوتها بغية الوصول للسلطة، ارتبطت المهدوية بالمخيال المغاربي الوسيط، ويمثلها المغاربة على أنها المنقذ والخلص وتحقيق آمال المستضعفين، ورد الحقوق وإحياء الدين في صورته المثلى، تركت المهدوية أثرها على الكتابة التاريخية، وعلى أساس فكرة المهدوية وتمثلاتها تمت صياغة الكتابة التاريخية التي أرخت للحركات التي تبنت هذه الفكرة، كالإسماعيلية والموحدية، ومن خلال نصي افتتاح الدعوة للقاضي النعمان وأخبار المهدي بن تومرت للبيدق نطرح الإشكالية الآتية:

كيف صاغ القاضي النعمان والبيدق نصيهما التاريخيين؟ وما هي مظاهر التأثير بالفكر المهدوي من خلال نصي افتتاح الدعوة وأخبار المهدي بن تومرت؟
سنجيب عن هذه الإشكالية في إطارها الزماني والمكاني ونتبع أثرها وامتدادها بالاعتماد على المنهجين التاريخي والوصفي والاستعانة بالتحليل الأنثربولوجي.

2. المهدوية في المعتقد الإسلامي:

لم ترد إشارة واضحة للمهدوية في القرآن الكريم، كما لم يرد في صحيح البخاري ومسلم أي حديث يتعلق بالمهدي¹، لكن نجد صاحب كتاب النار المنيّف يخص فصلاً كاملاً للحديث عن المهدي وقد أورد عدة أحاديث من سنن ابن ماجه وأبي داود والترمذي والإمام أحمد، وهذه الأحاديث أربعة أقسام صحاح، حسان، وغرائب وموضوعة، وهذه الأحاديث وإن كان في إسنادها بعض الضعف والغرابة، فهي مما يقوي بعضها البعض². ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة رواها أبو داود والترمذي، وأحمد وغيرهم من حديث ابن مسعود وغيره، والحديث الذي يستدل به منكرو المهدوية "لا مهدي إلا عيسى بن مريم" حديث ضعيف، كما أن الأحاديث التي ذكرت المهدي ووصفته تفند مزاعم الاثني عشرية: "ادعوا أن هذا مهديهم واسمه محمد بن الحسن، والمهدي المنعوت الذي وصفه النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله"³.

جمع جلال الدين السيوطي في كتابه: "العرف الورد في أخبار المهدي"، أكثر من 257 حديثاً، منها أربعين جمعها الحافظ ابن نعيم وزاد عليها هو: "هذا جزء جمعت فيه الأحاديث والآثار الواردة في المهدي لخصت فيه الأربعين التي جمعها الحافظ أبو نعيم وزدت عليه ما فاته"⁴.

إن فكرة المهديوية قد أخذت أبعاداً أخرى بعد الفتنة الكبرى، وتطورت بظهور الفرق التي أولت بعض الأحاديث ووضعت أخرى، وصاغت وفق ما يخدم مصالحها، ولاشك أن هذه الفرق قد تأثرت بمعتقدات سابقة للإسلام، وهو ما يظهر في الغيبة⁵ والرجعة⁶ والتناسخ⁷، كما استغلت الظروف التي مر بها آل البيت، فمعظم هذه الفرق كالسبئية⁸، الكيسانية⁹، الإسماعيلية¹⁰، الناسوبية¹¹، الموسوية¹² وغيرهم مهديها من آل البيت أو ممن ادعى الانتساب لهم وتنتظر خروجه: "فكل هذه الفرق تدعي في مهديها الظلوم الغشوم والمستحيل المعدوم، أنه الإمام المعصوم والمهدي المعلوم الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم وأخير بخروجه"¹³.

3. نماذج من الحركات المهدوية في المغرب الوسيط

1.3 المهدوية الإسماعيلية:

تفرعت الإسماعيلية عن الإمامية سنة 148هـ/765م¹⁴، ورغم اشتراكها مع الإمامية الاتني عشرية في موضوع الإمامة والوصية وصفات الإمام، إلا أنها تختلف معها في الإمام بعد جعفر الصادق، ترى هذه الطائفة أن الإمام بعد جعفر الصادق هو ابنه إسماعيل¹⁵.

رغم نأي جعفر الصادق عن الثورة والخروج على العباسيين، إلا أن ابنه إسماعيل اتخذ موقفا مغايراً لأبيه ولعل هذا سبب حرمانه من الإمامة، لكن إسماعيل وبمساعدة أحد المقرين من والده سعيًا لتوحيد باقي فرق الشيعة تحت إمامة إسماعيل وابنه محمد من بعده، خصوصاً بعد أن تولى أمر الدعوة ميمون القداح وانتقل مركزها إلى السُّلمية، استطاع القداح وأسرته إدارة مرحلة السُّلمية وتحويل السُّلمية إلى مركز لتدريب الدعاة وبثهم مشرقاً ومغرباً¹⁶.

ظهرت أولى انتصارات الإسماعيلية في اليمن على يد أبي الفضل وابن حوشب الذي لُقّب بالمنصور وكان هذا الأخير قد تدرب على يديه الداعي أبي عبد الله الشيعي¹⁷، حيث استطاع هذا الأخير دخول المغرب¹⁸ - إقليم كتامة - وبمناصرة هذه القبيلة وتحت شعار المهديوية استطاع تأسيس الدولة العبيدية.

2.3 المهدوية التومرتية:

تنسب هذه الحركة إلى محمد بن تومرت المرغبي المصمودي، ولد ابن تومرت بجنوب المغرب الأقصى بإيجلي، ويرجح المؤرخون أن ولادته سنة 473هـ¹⁹، من أسرة كما يقول ابن خلدون: "أشتهر أهل بيته بالنسك والرباط"²⁰، وكان لهذا أثره في حبه للعلم: "وشب محمد هذا قارئاً محباً للعلم، وكان يسمى آسفو ومعناه الضياء لكثرة ما كان يسرج من القناديل"²¹.

حبه للعلم دفعه إلى الرحلة نحو المشرق، إذ خرج من المغرب الأقصى قاصداً الأندلس ومنها إلى المهديّة ثم الاسكندرية، توجه بعدها إلى العراق، أخذ ابن تومرت في رحلته هذه عن كبار العلماء كالطروشّي والغزالي والكنيا الهراسي، وإن كان لقاء ابن تومرت والغزالي قد أثار جدلاً بين المؤرخين حول إثبات هذا اللقاء أو نفيه.²²

بعد عودته من المشرق أخذ ابن تومرت في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا العمل قد صاحبه من مصر وكان سببا في إخراجها منها، مر في طريق عودته بطرابلس ثم المهديّة وتونس ووصل قسنطينة وبعدها بجاية 511هـ²³، ومن بجاية إلى ملالة وبها التقى بعبد المؤمن بن علي، أكمل مسيره إلى مراكش حيث جمعتة مناظرة مع فقهاءها، ورغم إلحاح بعض الفقهاء على علي بن يوسف لسجنه أو قتله إلا أنه رفض ذلك في البداية، لكن فيما بعد أرسل في طلبه²⁴.

خرج ابن تومرت من مراكش باتجاه منطقة السوس ومنها شرع في بث أفكاره وتنظيم دعوته بعد أن تمت مبايعته، وغرس في نفوس أتباعه أنه المهدي المنتظر، انتقل ابن تومرت إلى مرحلة الثورة والاشتباك مع المرابطين، وقد استطاع الانتصار عليهم في مواقع عدة إلى غاية 524هـ في معركة البحيرة التي انتهت بالهزيم الموحدين²⁵، ومع هذا فقد أعاد ابن تومرت الأمل في نفوس أتباعه، ولكنه لم يلبث طويلا بعد هذه الموقعة وتوفي قبل أن يجني ثمار دعوته، استمرت حركة الموحدين بعد وفاة مهديها، واستطاع خليفته عبد المؤمن بن علي أن يطيح بالمرابطين والحماديين والزيريين، وتوحيد بلاد المغرب تحت راية الدولة الموحدية التي قامت أساسا على فكرة المهديّة²⁶.

4. مظاهر وتجليات التأثير بفكرة المهديّة من خلال نصي "افتتاح الدعوة" و"أخبار المهدي بن تومرت"

يقول محمد الجويلي: "عملية تقديس الزعيم أو تدنيسه ليست عملية ايديولوجية تتم برغبة الكتاب وأهوائهم المرتبطة باعتقاداتهم المذهبية فقط، بل هي عملية منظمة تشرف عليها الدولة سواء كانت سنية أو شيعية، في بحثها الدؤوب عن استمرارها، وتسعى الدولة إلى استعادة زمن تأسيسها بأن تضيف عليه طابعا احتفاليا قدسيا تدنس خصومها وتجند كتابها"²⁷، وعليه يمكن القول أن الدولتين الإسماعيلية والموحدية قد سلكتا المقصد ذاته لضمان استمرارهما ومجابهة الخصوم والمعارضين من داخل دوائر الحكم وخارجه، من خلال استحضار زمن تأسيسهما القائم على فكرة المهديّة، وعملية الاستحضار هذه كانت تحت إشراف الدولة وبأفلام المخلصين للفكرة التي قامت على أساسها الدولة كالفقيه النعمان والبيدق.

1.4 اففااا الدعوة للفاظف النعمان

1.1.4 الفاظف النعمان وفكر المهدوففة من الفافر إلى الفاففر:

لقد برز الفاظف النعمان فف ففرفة حساسة من عمر الدولة العففففة، فالوسط المعافف ففرفف وعسكرفا ففم على الدولة العففففة أن ففنف رفاها للدفاف عنها، وهؤلاء ما كانت لفسف لهم مهمة الفألفف إلا بعد ولائهم وإفلافهم الفام لها، هفا الإفلاف من مظاهره الفسفم بالفافار الإفمافففة والفقففس لأفمفها والفصففة بالففس والففس، فالفففب لمسار الحركة ومن فلال فمافف فاففها فابن فوشب وأف عبف الله الشفعف فلفمس هفا، فما كان الائمة أن فمففوا فففهم إلا بعد هفه الشروف وبالففرج وهفا ما ففف مع الفاظف النعمان: "لقد كان للفاظف النعمان رضف الله عنه مع الائمة الففن عافهم المكان المففن، والمفرفة الفف ففل ففها الممائل والفرفن....وهو ففزاف وفف كل إمام رفعة، وفرفف فرففه مع كل إمام، ومن آمف معه"²⁸

والنعمان كان من بفن هؤلاء المففبفعن بالفكر الإفماففف ومهدوففه، لفا أوكلت إلفه مهمة الفألفف لففمة الدولة²⁹، ومن هنا فحول النعمان من المفافر إلى الموفر وراح فعمل على فرففف أففار الدولة وفرففر شرعفها وسلطة أفمفها وأفاههم بمالة من الفقسفة، فف فظهر وكان هؤلاء على فف قول مفمر الفوفلف: "فائمة الشفعفة بففو كأهم لا ففعفشون فف الزمن الفارففف وإنما فف زمن مففار كل شفع ففه فوفف بالفلال والفقسفة"³⁰

لقد فاءت مؤلفاف النعمان بأمر من الائمة وبالأفص المفز الفف أفرق أهففة السفر والفارففف: "أمرف أمفر المؤمنفن بفمع أفبار الدولة فف ففاب ومناقب بفف هاشم ومفالب بفف عبف الشمس فف ففاب فففلت وجمع فف كل فن من هففن الفنفن ففابا فامعا فففا ففمل على أفزاء كففرة على ما رففه لف وأفافففه ورفففهما إلفه فافففففهما وارففاهما واستفاف معناهما"³¹، ومن هنا فففف أن ففاب اففااا الدعوة كان بأمر من المفز وهفا فعفف أنه لن فففو من الفقاسة وبركة الإمام المعصوم الفف ففمل علما لفففا موروثا: "وإنما ألف ما ألف وجمع ما جمع، وصف ما وصف، مما أففه عن أفمفه الففن عافهم، مما ألقاه إلفهم آباؤهم الفاهرون...ومن ففرهم افففف وبهم عرف ما عرف وبففلهم ففما ألف وصفف"³².

2.1.4 القداسة وتحليتها في كتاب افتتاح الدعوة

الأشخاص (الأئمة، الدعاة، الأتباع):

إن كل ما أورده النعمان عن الأئمة يوحى بالقداسة والإجلال، ويتضح هذا من خلال الأحاديث التي أوردها وبالأخص بشأن عبيد الله المهدي: "قوله في اليتيم ههنا رمز على المهدي صلوات الله عليه، وكان بحسب ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم"³³، وفي موضع آخر يقول: "اشتهر ذكره وفشا خبره ودلت عليه آياته وتبينت للناس علاماته"³⁴، وكأنه يحمل مواصفات المهدي الذي بشر به الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن بركته قد عمت بلاد المغرب بمجرد أن وطئت قدماه أرض المغرب: "وكان أول فتح قدم على المهدي وكان بركته وبركة أيام هجرته"³⁵، ويصور النعمان المهدي والأئمة الفاطميين وكأن لهم نافذة على علم الغيب، فهذه القائم كان ينتظر الدجال الذي أخبر عنه المهدي وابنتي المهدي لأجله وأنه لن يدخلها: "ثم ثار عليه الدجال الذي كان ينتظره... ثم حل على المهدي وانتهى إلى بابها ووقف ساعة... وهذه الساعة التي كان المهدي يذكرها ويذكر إنما ابنتي المهدي من أجلها"³⁶.

وفي حديثه عن ابن حوشب وتلقيه بمنصور اليمن حيث يورد حديث لجعفر الصادق: "منا المهدي ومنا المنصور"³⁷، ولم يكتف بهذا بل جعل بداية دعوته من علامات ظهور المهدي المنتظر، كقوله عنه عند دخوله مسجدا باليمن: "ولكن هذه أسطوانة يؤثر أن داعي المهدي إذا أتاه وصلّى ركعتين استلقى على ظهره عندها"³⁸، ويورد حديثا لجعفر الصادق في وصفه لجيشان: "بأعلاها سدره وبأسفلها سدره، قال: نعم، قال: إن بين السدرتين لكثرا لآل محمد صلى الله عليه وسلم، قال أبو القاسم استخرجت ذلك الكثر، قيل: وما هو، قال: سبعون رجلا عددهم عددا من أهلها بلغوا مبالغ الدعاة"³⁹، وعليه فالنعمان قد أضفى على هذا الداعي نوعا من القداسة بأن على يديه يخرج كثر آل محمد وجعله شاهدا على صدق نبوة جعفر الصادق.

وأما عن أتباع الدعوة فقد وصفهم بحزب الله، المؤمنين، والأولياء في كثير من المواضع.

المكان:

إن انتصار الدعوة في اليمن، وانطلاق الدعوة منها جعلت القاضي النعمان يستحضر الأحاديث التي تظهر بركة اليمن، بل نجد النعمان يحاول أن يجعل من انطلاق وانتصارات الدعوة في اليمن من إرهاصات ظهور المهدي المنتظر الذي يحيي الدين ويميت الباطل: "البيت يماني والركن يماني والدين يماني والكعبة يمانيه ولن يقوم هذا الدين ويظهر أمره إلا من قبل اليمن"⁴⁰

وتظهر قداسة المكان في حديثه عن فجع الأخيار ونصرة أهله للمهدي⁴¹، وكذلك في حديثه عن المهدي التي بشرت الروايات بالمكان الذي تبني عليه: "هذه صفة الجزيرة التي يقال أن المهدي يبني مدينته عليها، جاءت بها الروايات والأخبار وبشر بها كما جاءت الأخبار بمبعث الرسول صلى الله عليه وسلم... وذكرها كثير من العرب

كأمية بن الصلت، وورقة ابن نوفل، وقس بن ساعدة⁴² وقد رفع النعمان من قداسة المهديّة وكأنها مكة والمدينة إذ أن الدجال لا يدخلها وهو يقصد بهذا أبي يزيد مخلص بن كيداد عندما حاصر المهديّة: "وابتني المهديّة المأثور ذكرها في الكتب، المعروفة بالبيضاء التي قيل أن الدجال لا يصل إليها ولا يدخلها كما جاءت الروايات فيها"⁴³

الزمان:

نجد أن القاضي النعمان يريد أن يؤسس لبعض التواريخ ويجعلها في مقام البشائر المذكورة في الأحاديث المتواترة، فتأخذ هذه التواريخ طابع القدسية: "من أدرك سنة كذا من أهل بلدك، فليتمس داعي المهدي في ليلة كذا منها لتلك الليلة فإنه يبيت في المسجد"، وبالرغم أن النعمان لم يذكر مصدر الحديث بالضبط - سوى قوله أن بعض الأئمة قال- ولا هذه السنة أو الليلة، إلا أنه يحاول أن يحاكي حديث ليلة القدر، ولا نشك في هذا مع شخصية ذات اطلاع واسع مثل النعمان.

وكذلك في حديثه عن الأمير الأغلي إبراهيم بن أحمد، الذي أظهر التوبة وتخلّى عن الملك وتفرغ للجهاد لما أحس بزوال ملكه: "وكان خروج إبراهيم بن أحمد من إفريقية وركوبه البحر في رجب سنة تسع وثمانين ومائتين، لما نظر إلى سنة التسعين التي جاءت بها الروايات قد قربت"⁴⁴، من خلال هذه الأحاديث يظهر وكأن لسان حال النعمان يقول إن هذه الأحاديث ليست عند الشيعة فقط، وإنما هي من المتواتر عند أهل السنة.

2.4 أخبار المهدي بن تومرت للبيدق

1.2.4 المهدي (ابن تومرت) في مخيال البيدق

العصمة:

نجد البيدق لا ينادي ابن تومرت باسمه، بل يصفه بسيدنا المعصوم في كل مواضع حديثه، والسؤال المطروح كيف تشكل هذا التصور عند البيدق؟ هل هي قوة الاقناع عند ابن تومرت؟ أم بسبب المستوى الثقافي للبيدق؟ استطاع ابن تومرت غرس أفكاره في نفوس أتباعه، ومنها قوله بالعصمة: "لا يكون الإمام إلا معصوما من الباطل لكي يهدم الباطل"⁴⁵، إن قول ابن تومرت هذا جاء تدريجيا، حتى يتقبله أتباعه، فقد اتبع أسلوب قيمة الأذهان قبل طرح أي فكرة، وهذا الأسلوب يتضح في كتابه أعز ما يطلب، وبما أن البيدق لم يكن بمستوى ذكاء وثقافة ابن تومرت، كما يظهر ذلك من خلال أسلوب ولغة كتابه الذي يبدو أنه مذكرات أكثر منه كتاب تاريخ ولاحتوائه ألفاظا عامية⁴⁶، وبهذا يكون المستوى الثقافي للبيدق عاملا مساعدا على تقبله فكرة العصمة، كذلك لا يمكن فصل البيدق عن بيئته الاجتماعية، فذهنية البيدق هي جزء من الذهنية المغاربية، ومخياله الفردي جزء من المخيال الجمعي المغربي في العصر الوسيط، والذي لديه القابلية للإيمان بمثل هذه الأفكار، وهنا نستحضر ما قاله ابن خلدون عن المغاربة: "وأما وقوع الخوارق فيهم، وظهور الكاملين في النوع الإنساني من أشخاصهم"⁴⁷.

النتيـجـة:

صور البيـدق ابن تـومـرت وكأنه يتنبأ ببعض الأحداث قبل وقوعها، وأن هذا مما خص به ابن تومرت، فهو على علم بكثير من الأحداث قبل وقوعها وهذا ما أثار حيرة أتباعه، ومثال هذا تبشير أصحابه بقدوم عبد المؤمن بن علي: "فبينما هو ذات يوم قاعد إذ سمعناه يقول الحمد لله الذي أنجز وعده ونصر عبده وأنفذ أمره، وأقبل نحو المسجد ورُكع ركعتين ثم قال الحمد لله على كل حال قد بلغ وقت النصر وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، يصلكم غدا طالب طوبى لمن عرفه وويل لمن أنكره فلما سمع الناس غدا يصلكم طالب حارو في أمره"⁴⁸ يصور البيدق ابن تومرت بينما هو متفرغ في إحدى خلواته للذكر بموضع يقال له خروب العجوز، وفجأة تعثره حالة أو تأتيه بشارة يحمد الله عليها ويظهر شكره له على نعمته بركعتين في المسجد، ثم يزف البشارة لأصحابه الذين تعجبوا مما قال، وذهلوا من أين له هذا الخير؟ ورغم أن البيدق لم يصرح بأن المهدي لديه شيء من علم الغيب أو الوحي، إلا أنه يحاول أن يروج لهذا من خلال هذا النص وما ذكره في نصوص أخرى كتلك التي أوردها عند مرورهم بأحد المواضع: "فقال لهم: بين أظهركم هنا طالب يتزل بمحلته هناك في المياه ويسمع ضجيجها من هذا الموضع"⁴⁹

الخـوارق:

يصور لنا البيدق، ابن تومرت بأنه صاحب كرامات، وهذه الكرامات تظهر وقت الشدائد والأزمات ويذكر لنا البيدق واحدة من هذه الخوارق أو الكرامات أثناء إحدى معاركه ضد المرابطين: "ثم قبض قبضة من تراب ورمائها فأنزموها وتركوا الخيل"⁵⁰، ويذهب البيدق إلى أبعد من هذا، فكلمة من المعصوم كافية لتحقيق النصر: "فلما تصففت الصفوف نظر الناس إلى المعصوم ثم نظر المعصوم فيهم فقال: لا تفزعوا فإنهم هاربون وكذلك كان فعلهم إنما كان هروبا"⁵¹ وكذلك في قوله: "فقال: خذوهم على بركة الله فهزمناهم"⁵²، "قال لنا: لا تفزعوا منهم.... فهزموهم"⁵³

العناية الإلهية وتبرير الحوادث التاريخية عند البيدق:

لقد أضفى البيدق هو الآخر نوعا من القدسية على الحركة الموحدية باعتبار أن مرجعيتها مهدوية، وهو ما جعله يرر خروج ابن تومرت على سلطة المرابطين الذين وصفهم بالمجسمين الكفرة، ويظهر من خلال ما أورده البيدق أن العناية الإلهية كانت تُسّر حركة الموحدين وهبأت لها أسباب التمكين، فكل ما يقوم به المهدي هو بأمر من الله عز وجل: "اعلم أن الله تعالى لما أمر بخروج المعصوم من فاس" وكذلك قوله: "اعلم يا أخي أن سيدنا المعصوم لما أراد الله أن يخرجنا للغزو"⁵⁴

والعناية الإلهية هي التي كانت وراء لقاء المهدي بعبد المؤمن بن علي، والذي سبق للمهدي أن بشر به أتباعه: "وذلك أن الحق تبارك وتعالى أزعج الخليفة عبد المؤمن بن علي رضي الله عنه من بلده نحو المشرق"⁵⁵ ولعل

البندق أراد من خلال هذا أن يجد مبررا لحكم عبد المؤمن، وهذا ما يثبته قوله على لسان المهدي: "لا يقوم هذا الأمر الذي فيه حياة الدين إلا بعبد المؤمن بن علي سراج الموحدين"⁵⁶

كذلك أن العناية الإلهية سخرت للمهدي البشير الذي ميز المنافقين من الموحدين، بعد أن كادت تعصف بالحركة رياح التمرد: "فأكرم الله المهدي بدعوة البشير، فأمر بالميز فكان البشير يخرج المخالفين والمنافقين، والخبثاء من الموحدين حتى امتاز الخبيث من الطيب"⁵⁷، والواقع أن هذا ليس سوى تبرير للمجزرة التي قام بها البشير ضد المخالفين.

5. خاتمة:

إن الفكرة الدينية تساهم في تحريك المجتمعات والأقلام وبالتالي صناعة التاريخ وصياغته، ففكرة المهدوية حولت المجتمعين الكنامي والمصمودي من حالة السكون والركود التاريخي إلى الحركة والفاعلية التاريخية، وهذا بعد أن استطاع دعاة الحركتين استغلال الظروف والأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالتوازي مع استحضار أحاديث الفتن وأشراف الساعة ونسج أحاديث عل منوالها، من أجل تهيئة الذهن الجماعية لاستقبال فكرة المهدوية التي لم تكن في الواقع سوى مطية لتحقيق طموح الطامعين في السلطة.

كما ساهمت فكرة المهدوية في إنتاج نصوص تاريخية أضفت الشرعية والقدسية على هذه الحركات وزعمائها بالمقابل دنست الخصوم والمعارضين، هذه النصوص كانت نتاج أقلام المخلصين لهذه الفكرة وبيعاز من السلطة التي استغلت هذه النصوص لتأسيس مرجعية دينية وتاريخية لضمان استمرارها.

صور لنا كل نص من هذين النصين الحركة المهدوية التي أرّخ لها على أنها غاية التاريخ، وبالتالي فالمهدوية نهاية التاريخ الذي يسير متصاعدا نحو الخلاص وملء الأرض عدلا بعد ما ملئت جورا.

افتتاح الدعوة للقاضي النعمان، وأخبار المهدي بن تومرت للبندق، يمثل كل نص منهما وثيقة تاريخية أولى للحركة التي أرّخ لها، فالمصادر اللاحقة التي أرّخت للحركتين أخذت عن هذين النصين، كون كل واحد منهما عاصر الحركة التي أرّخ لها، ومع ذلك لا بد من الاستقصاء والتحري والاستعانة بالمنهج والعلوم المساعدة لفهم الكثير من الأحداث والظواهر التاريخية.

إن ظاهرة التوظيف السياسي للرموز الدينية استمر امتدادها إلى تاريخنا الحديث والمعاصر وهي قائمة في تاريخنا الراهن رغم طول الأمد تستحضرها الخطابات السياسية المعاصرة لدى بعض الحركات والأحزاب في أوقات الاضطرابات والأزمات السياسية والاجتماعية.

6. الهوامش:

- ¹ سعد محمد حسن: المهدي في الإسلام، 1953، ط1، مصر، دار الكتاب العربي، ص176.
- ² ابن قيم الجوزية: المنار المنيف في الصحيح والضعيف، 1970، ط1، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ص141-152.
- ³ ابن تيمية أحمد: مختصر منهاج السنة النبوية، 2005، ط2، اليمن، دار الصديق للنشر والتوزيع، ص485-486.
- ⁴ السيوطي جلال الدين: العرف الوردي في أخبار المهدي، 2006، ط2، لبنان، دار الكتب العلمية، ص49.
- ⁵ رستم سعد: الفرق والمذاهب الإسلامية، 2005، ط3، سورية، الأوائل للنشر والتوزيع، ص254.
- ⁶ نفسه، ص256.
- ⁷ البغدادى عبد القاهر بن طاهر: الفرق بين الفرق، بدون تاريخ، بدون طبعة، مصر، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، ص235-238.
- ⁸ نفسه، ص205-207.
- ⁹ نفسه، ص46-55.
- ¹⁰ نفسه، ص62-63.
- ¹¹ نفسه، ص61-62.
- ¹² نفسه، ص63.
- ¹³ ابن تيمية أحمد: مختصر منهاج السنة، المصدر السابق، ص155.
- ¹⁴ سعد رستم، مرجع سابق، ص281.
- ¹⁵ الأشعري أبو الحسن: مقالات الإسلاميين، 1980، ط3، ألمانيا، دار فرانز شتاير، ص26.
- ¹⁶ سعد رستم: مرجع سابق، ص284-288.
- ¹⁷ ابن حيون النعمان: افتتاح الدعوة، 1986، ط2، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ص30.
- ¹⁸ نفسه، ص30-35.
- ¹⁹ النجار عبد الحميد: تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، 1995، ط2، فرجينيا، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ص57.
- ²⁰ ابن خلدون عبد الرحمن: العبر، 2000، بيروت، دار الفكر، ص301، ج6.
- ²¹ نفسه، ص301.
- ²² لي تورنر روجي: حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، 1982، ليبيا، الدار العربية، للكتاب، ص15-16.
- ²³ النجار عبد الحميد: مرجع سابق، ص62-66.
- ²⁴ البيهقي: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، 1971، ط1، الرباط، دار المنصور للوراقة والطباعة، ص27-31.
- ²⁵ نفسه، ص39-41. أنظر عبد الحميد النجار، مرجع سابق، ص66.
- ²⁶ ابن خلدون عبد الرحمن: المصدر السابق، ص300-318.
- ²⁷ الجويلي محمد: الزعيم السياسي في المخيال الإسلامي بين المقدس والمندس، 1992، ط2، تونس، دار سراس للنشر، ص142.

- ²⁸ الداعي إدريس: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، 1985، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ص556.
- ²⁹ نفسه، ص560.
- ³⁰ الجويلي محمد: مرجع سابق، ص113.
- ³¹ الداعي إدريس، مصدر سابق، ص566.
- ³² نفسه، ص559.
- ³³ القاضي النعمان ، مصدر سابق، ص5.
- ³⁴ نفسه، ص158.
- ³⁵ نفسه، ص173.
- ³⁶ نفسه، ص333.
- ³⁷ نفسه، ص3.
- ³⁸ نفسه، ص19.
- ³⁹ نفسه، ص21.
- ⁴⁰ نفسه، ص8.
- ⁴¹ نفسه، ص48.
- ⁴² نفسه، ص76-77.
- ⁴³ نفسه، ص327-333.
- ⁴⁴ نفسه، ص77.
- ⁴⁵ ابن تومرت محمد: أعز ما يطلب، 2007، بدون طبعة، الجزائر، وزارة الثقافة، ص229.
- ⁴⁶ البيهقي: مصدر سابق، ص66.
- ⁴⁷ ابن خلدون عبد الرحمن: العبر، مصدر سابق، ص138.
- ⁴⁸ البيهقي: مصدر سابق، ص14.
- ⁴⁹ نفسه، ص20.
- ⁵⁰ نفسه، ص35.
- ⁵¹ نفسه، ص35.
- ⁵² نفسه، ص37.
- ⁵³ نفسه، ص36.
- ⁵⁴ نفسه، ص25.
- ⁵⁵ نفسه، ص14.
- ⁵⁶ نفسه، ص16.
- ⁵⁷ نفسه، ص39.

7. المصادر والمراجع:

- 1- الأشعري، أبو الحسن. (1980). مقالات الإسلاميين (ط 3). ألمانيا: دار فرانز شتاينر
- 2- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر. (1988). الفرق بين الفرق. مصر: مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير
- 3- البيهقي. (1971). أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين (ط 1). الرباط: دار المنصور للوراقة والطباعة
- 4- ابن تومرت، محمد. (2007). أعز ما يطلب. الجزائر: وزارة الثقافة
- 5- ابن تيمية، أحمد. (2005). مختصر منهاج السنة النبوية (ط 2). اليمن: دار الصديق للنشر والتوزيع
- 6- الجويلي، محمد. (1992). الزعيم السياسي في المخيال الإسلامي بين المقدس والمندس. تونس: دار سراس للنشر
- 7- ابن حيون، النعمان. (1986). افتتاح الدعوة (ط 2). تونس: الشركة التونسية للتوزيع
- 8- ابن خلدون، عبد الرحمن. (2000). العبر. بيروت: دار الفكر
- 9- الداعي، إدريس. (1985). تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب: القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار (ط 1). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- 10- رستم، سعد. (2005). الفرق والمذاهب الإسلامية (ط 3). سورية: الأوائل للنشر والتوزيع.
- 11- سعد، محمد حسن. (1953). المهدي في الإسلام (ط 1). مصر: دار الكتاب العربي.
- 12- السيوطي، جلال الدين. (2006). العرف الوردي في أخبار المهدي (ط 2). بيروت: دار الكتب العلمية.
- 13- ابن قيم الجوزية. (1970). المنار المنيف في الصحيح والضعيف (ط 1). حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.
- 14- لي تورنو، روجي. (1982). حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر. ليبيا: الدار العربية للكتاب.
- 15- النجار، عبد الحميد. (1995). تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت (ط 2). فرجينيا: المعهد العالي للفكر الإسلامي.